Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10361

الذاكرة الكوردية في الفضاء الروائي عند جان دوست/ الذاكرة الدينية

هشيار زكي حسن[١]، عيسى محمد عبد القادر[٢]

١- جامعة كؤية، اقليم كردستان العراق

٢- تربية كرميان ، اقليم كردستان العراق

Article Info

Received: May, 2023

Revised: May, 2023

Accepted: June, 2023

Keywords

الذاكرة، الدين، الإسلام، الطريقة ، الأولياء

Corresponding Author

hishyar.zeki@koyauniversity.org

essacheayee@yahoo.com

الملخص:

ما نلاحظه في روايات "جان دوست" تطرقه أو تطرق شخصيات رواياته إلى نزعات كانت سائدة في المجتمع الكوردي على نحو واضح في زمنها، أو لاتزال. ليكون بالنتيجة فاصلاً معرفياً يفصل بين البيئتين المنقسمة بين الطريقتين وتقسم الهوية القومية على هويات فرعية مختلفة، نتحسس بتفاصيل هذه النزعات، فمنها ترتبط بدائرة أوسع كنظرة المجتمع الكوردي، اجتهاداته، تفهمه إلى الدين الإسلامي، ومن أكثر هذه المظاهر شيوعاً، ظهور ثنائية الطريقتين السائدتين في المجتمع الكوردي. ولكل من هاتين الطريقتين: الطريقة القادرية، والطريقة النقشبندية مريدون، وتابعون: وكيفية نشأتهما في كوردستان، ثم التلميح إلى خصائصهم، وعلاقتهما بالأخرى ، تأثيراتها، وانعكاساتها في فضاء هذه الروايات، مستشهداً بشواهد على لسان شخصياتها على نحو ينبغي تغطية الظاهرة، والتعريف برموزهم في حدود ما يتطلبه البحث.

المقدمة:

هنالك ما تزيّن هذه الفضاءات من نزعات،تتخطى الأثر الاجتماعي للظاهرة إلى ثوابت عقيدية، تنعكس هذه التفاصيل البسيطة في التصرفات اليومية لتصبح تميزاً واختلافاً بين الفئتين، فمنها ترتبط بدائرة أوسع كنظرة المجتمع الكوردي وتفهمه إلى الدين الإسلامي، وظهور هذه النزعات وانعكاساتها في فضاء هذه الروايات على نحو ينبغي تغطيتها ولو بمعلومات أولية، ومن أكثر هذه المظاهر، ظهور ثنائية الطريقتين السائدتين في المجتمع الكوردي، ولكل من هاتين الطريقتين: الطريقة القادرية، والطريقة النقشبندية، مريدون، وتابعون: وكيفية نشأتهما في كوردستان، ثم التلميح إلى خصائص كل منهما وعلاقتهما بالآخر، والتعريف برموزهما في حدود ما يتطلبه فضاء الروايات .

أما بخصوص المنهج المتبع في الأطروحة فهي تحليلية تاريخية، يحاول أن يستفيد من حركية التاريخ، حين يعتمد الموقف على التطور والتغيير ومواكبة الأحداث ، مع سكونية الوصف في المواقف التي تعول على طهارة المبادىء والتمسك بكبرياء الإنسان الكوردي والتزامه المطلق بمشايخهم وطرائقهم وتفاصيل تتعلق بالطريقة الدينية المفضلة لديهم.

مشكلة البحث: ينقسم المجتمع الكوردي من حيث تعلقهم بالدين الاسلامي إلى طريقتين، نظرتين إلى الحياة والعالم. تنزل تبعاتها بالتدرج إلى الحياة اليومية ومشاغلها، ولكل من هاتين النظرتين رؤى مستقلة تتفق فيما بينهما في الثوابت بينما ينشغل مجتمع كامل ضمن اختلافاتهما في التطبيق وممارسة مراسيم العبادة.

التمهيد:

مع ظهور الدين الإسلامي في الجزيرة العربية، منح العرب، أمةً، ولغةً بُعداً آخر وزخماً معرفياً للتوسع الثقافي، حاملاً مبادىء الدين الجديد، ولغته إلى ما يمكن حملها وإيصالها إلى أرجاء مختلفة والتي تضم قيما إنسانية تحتوي على ثوابت أخلاقية عالية تنظيراً، من نكران الذات، والمساواة، ونصرة الحق، والعدالة، في سبيل قيم إنسانية عالية في أرجاء أخرى، وبمرور

سنوات وقرون على هذه الحالة المركزية الإسلامية وعدم ظهور نماذج عقيدية جدية تضاهي العقيدة الإسلامية وتقديم نفسها بديلاً لهذه المحتويات، بمحتويات تفوق مبادىء الإسلام من حيث تغطيتها للعموميات الحياتية للإنسان من جهة، القيم الروحية العالية، واللغة العربية بثوابتها النحوية واللسانية جعل من اللغة العربية مركزاً وربط بها هوامش عديدة، على الرغم من كل هذا، بقيت وضعيات أخرى لم تذب في بوتقة اللغة العربية والقومية العربية الإسلامية بجانب هذا المركز، أي حافظت على الخصوصيات القومية بجانب العقيدة الإسلامية، واللغوية الخاصة بها، بمعنى آخر لم تقبل على الذوبان الكلي في اللغة والتكوين العربيتين، لكنها أيضاً لم تفترق نهائياً، بل بقيت ضمن الحدود الثقافة العربية الإسلامية من حيث العموميات/ الجوهر الكلي للوضعية السائدة مع الحفاظ على خصوصياتها في التفاصيل. بل تتعدى الظاهرة لتصل إلى أن أكثر الحركات التحررية الكوردية كانت بقيادة رجال الدين، الذين يربطون بين دفاعهم عن الوطن، ودفاعهم عن الدين الإسلامي. و" كان المثقفون الكورد يستخدمون التعابير الدينية للدلالة على الثوار الكورد، وخلق وحدة بين الدفاع عن الأمة الكوردية والدفاع عن الإسلام.وبالتالي فإن المجاهد، الذي هو في الأصل، المقاتل من أجل الإسلام، تقمصه المقاتل الكوردي من أجل الحرية "(غورغاس: 2013، ص 207). لذلك اختلط المسار بين المسلكين لينتج رؤية معتدلة يستفيدان من الآخر بحيث أصبح الرؤية الدينية إيضاحاً للرؤية القومية وتكملة له، وتصبح المشكلة القومية ترى حلولها في أثناء التعابير الدينية، فنرى نهاية الثورات والانتفاضات الكوردية، تتشكل لدى جان دوست في رواياته وتنتهي بانتكاسة يمكن أن نسميها في الغالب بـ(تدحرج العمامات)[*]. وجاء عن طريق هذه الروايات مزجاً بين المفهومين إلى درجة أصبحت ظاهرة نظراً لتكرارها، وللغرض نفسه، قيادة الحركات القومية هم في الغالب من رجال الدين، لا يتراجعون عن نضالهم، وفي حال أسرهم يقفون أمام أعمدة الإعدام شامخين، وتبقى هذه العِمائم شامخةً في الرؤوس كالتاج، كما يصوره شيخ محمود والد الشيخ سعيد.خلال وصيته حين يلف لأول مرة العمامة على رأسه ويلقنها درساً وحكمة، وبأن العمامة من الأهمية والضرورة كالتاج للملك، لكن الشيء الأكثر الأهمية من العمامة "هو ما في رأسك من علم لا ما على رأسك من قماش "(دوست : 2017، ص 32). وصولاً إلى وضع هذه الرقبات/ الرؤوس في المشنقة تكراراً، باختلاف المواقع وتشابه في المواقف، فنرى انعكاس تدحرج عمامة ملا سليم الخيزاني ورفاقه المعممين أيضاً في ذاكرة الشيخ سعيد في هيبة أسطورية، لتشكل العمامة المتدحرجة درباً ثلجياً يمتد من بوابة مذبحته ورفاقه المعدومين إلى مسجد شرف خان (دوست : 2017، ص 142)، لتشكل ثالثة الأثافي بين العِمامة والمسجد والشهادة لاستواء الحقوق القومية المهضومة غدراً، وعنوةً . ويكرر التاريخ هذه المرّة نفسه في ديار بكر حين يرى الشيخ سعيد،" عمامته المتدحرجة الآن أسفل قدمي عناصر الجندرمة " (دوست : 2017، ص 162) ، فالعمامة المعروفة بأنها بمكانة التاج للملك تلف على الرؤوس، بينما تتدحرج إثر سقوطه تحت أقدام الجندرمة وما يحُمل الحالة من مغزى استفزازي بحجم الحالة، وما آل إليها. في حال يقتحم سيد رضا . وهو شخصية دينية، ووطنية أيضاً . الموت ويختاره بإدخال رأسه المغطاط بالعمامة حبل المشنقة، الشيخ الذي يحلف الناس بماء وضوئه، فالوضوء والعِمامة والجُبة أيضاً من مقدسات لصيقة بالتدين :"وأنا شممت جبّته. والله تعبق منها رائحة الجنة " فيستعمله الشيخ سعيد لاحتواء المريدين محبة واحتضاناً " فكلما يدر على أحد المريدين شمله بجبّته ويقرأ بيتاً للجزيري أو خاني أو مولانا خالد. قرأ أيضاً بعض الأبيات بالفارسية والزازائية" (دوست : 2017، ص 168) ويدعو لمرضاهم بالشفاء وهذه تفاصيل من متعلقات الذاكرة الدينية ودليل على اجتماعية الشيخ سعيد، سيد رضا، وملا سليم ذواتاً مقدسة يتدلون كعمود من النور بعد إعدامهم من جهة، وشخصيات ثورية ترتبط قدسيتها بدفاعهم عن البلاد أيضاً.

1. ظهور طرق التصوف في كوردستان

والصوفية ظهرت في البداية " كاعتراض واشتداد لروح المعارضة لدى الكورد عبر الصوفية، نتجت من السلطة اللامعتدلة والعنيفة لسلاطين الإسلام الواقعة بعد العصر الأموي وخاصة العصر العباسي وبعدها العثمانيين والصفويين" (قرداخي: 2003، 2) إن الكورد اعتنقوا الإسلام عبر حملات الفتح، أي أن ذاكرة الكورد كقومية غير عربية اختارت الإسلام فيما بعد ديناً رسمياً، تحمل شيئاً من الاعتراض، كاعتراض الفتى أحمد الخاني في حوار مع عمر الخزندار، في أثناء مناقشتهما لدعاء ينسب للنبي "ص" على الأكراد " لا وحّد الله هذه الأمة !" فيرتعش صوته ويقول في رَدّه:

" لا الترك الحنفيون ولا العجم الشيعة بأكثر إسلاماً منا نحن الكورد،

فلماذا لم يدْعُ عليهم الرسول! لا. الرسول لم يدع على الأكراد.

وهذا الحديث غير موجود لا في الصحاح ولا في ضعاف الأحاديث. ثمة علة أخرى تفرقنا "(دوست: 2011، ص 44) .

[*]والعمامات، العمامة لغة: بكسر العين وفتح الميمين، والجمع عمائم، وهي ما يلف على الرأس، وهي مستحبة عند الصلاة، وكذا يستحب وضعها للميت عند تكفينه، معجم المعاني الجامع . معجم عربي عربي. في الموقع : https://www.almaany.com/ar/dict/ar

لكن هذا الاعتراض لم يكن كافياً ليدفع بالكورد إلى ترك الإسلام، بل شارك في إرساء قواعد هذا الدين وأمجاده. بمعنى آخر أن اختيار الكورد للتصوف كانت بمثابة تقبل الإسلام ديناً يحتل أكبر مساحة من الذاكرة الجمعية الكوردية، لكن مع الاعتراض على نوع الحكم وتجريد القيم شيئاً فشيئاً بالقياس إلى ما كان سائداً في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ثم معاملة الكورد وموقعهم ضمن هذا التحالف.ومن هذه المحطة حيث يقبل الإسلام دينا، والاعتراض على التفاصيل زرعت نبتة الصوفية وطرائق الصوفية، القائمة على الاعتصام وعزة النفس، وتعظيم الآخرة بتبسيط الحياة الدنيوية وتحقيرها، وظفت خدماتها في كوردستان من خلال طريقتين . القادرية، والنقشبندية . وهما " المنهج والمسلك، ومنه مسلك الطائفة من المتصوفة، والجمع طرق. وقيل إن الطريقة : هي السيرة والمذهب والطريق، والطبقة، والجمع طرائق." (إبراهيم: 1431، ج2، ص 556) فالطريقة هي نوعية الرؤية إلى قضية ما وتفسيرها، كما جاء في القرآن الكريم: "ويذهب بطريقتكم المثلى " (القرآن الكريم، سورة طه، آية 63) وهذه الرؤية إلى قضية ما وتفسيرها تتطلب الاختلاف مع الطرائق والتفاسير الأخرى، الاشتراك في عموميات الدين الإسلامي والاختلاف في ممارسة التقاليد وطقس العبادة وأداء الفرائض والالتزام بالولي، وظهرت طريقتا "القادرية (وزيري: 2009، ص 162)، والنقشبندية "(وزيري: 2009، ص 17) في كوردستان لمعرفة التمسك والالتزام بثوابت هذا الدين و" تعد الطريقة القادرية، من أشهر وأقدم الطرق الدينية المتبعة فيها على نطاق واسع، وأصل هذه الطريقة يرجع إلى النبع الطاهر بيد ولي الله الشيخ عبد القادر كيلاني الذي أسست بنيانها "(وزيري، 2009، ص162)، "والتصوف لديه هو المسافة التي يقطعها السالك عن طريق تجويع الذات وحرمان النفس من الملذات الدنيوية " (وزيري، 2009، ص 168). وللشيخ عبد القادر الكيلاني "1166/1077" مكانة لائقة بين مسلمي الكورد وانتشرت هذه الطريقة الدينية بداية القرن الثاني عشر، ومن بينها السلالة المجيدة للشيخ معروف النودهي " الولادة :1166 الموافق :1753 - الوفاة :1254 هـ الموافق :1838 م "(*)، وحاج كاك أحمد " 1305/1207 "(**)، ومنه إلى الشيخ محمود الحفيد (ملك كوردستان)(***)، علماء وفضلاء عصرهم، "، (وزيري: 2009، ص 194/ 196)، وانتشرت في كامل بلاد المسلمين واشتهر أصلها إلى نبتة الحب والتدين، ومصاحب إلى حد كبير بالتساهل والسماح، وقد أدت هذه الطريقة العظيمة دوراً مهماً في انتشار روح التسامح النابع من الدين الإسلامي الطاهر في البلدان التي انتشرت فيها كالسودان، سنغال ونيجيريا " (وزيري، 2009، ص162) .

أما الطريقة النقشبندية، فقد ظهرت بوصفها طريقة عرفانية تقدم خدماتها وآثارها في القرن الثامن الهجري على يد "بهاء الدين النقشبندي (1317/ 1389هجري) ولد في قصر العارفين في بخارا (فروخ: 1947،ص 85)، ويعرف في البيئة الكوردية بـ "شاي نةقشبةند/ شاه النقشبندي " أما لفظ نقشبند، فهو مصطلحٌ فاسي مركبٌ من كلمتين: إحداهما عربيةٌ، وهي"نقش" والثانية فارسية، وهي "بند" بفتح الباءِ، وسكون النّون والدّال"(الهاشمي: 2009، ص 9)، والكلمة مؤلفة من جزأين: نقش وهو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه. وبند معناه ربط وبقاء من غير محو. فالكلمة تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه." (درنيقة: (د.ت)، ص 11) .ومعنى المصطلح واضح حيث يشير بدلالتها إلى زرع محبة الله ونقش/ أي رسم محبة الله في قلوب سالكي هذه الطريقة بالذكر المتواصل والتمسك بآداب سادتهم. ومما يجدر التنويه بأن هذه الطريقة قد حملت منذ نشأتها أكثر من تسمية، "ولقد عُرفت هذه الطريقة، منذ نشأتها حتى الآن، بعدة أسماء: فمن عهد أبي بكر الصديق (ر.ض) حتى أبي يزيد البسطامي(877/804هـ)كانت تسمى صديقيه . ومن عهد أبي يزيد حتى عبد الخالق الغجدواني (1179/1103م) كانت تسمى طيفورية نسبة إلى الاسم الأول لأبي يزيد. ومن

(*). الشيخ معروف النودهي/ أشهر علماء عصره، ولد في 1166هـ/ 1753م قرية "نودي" التابعة "شارباذيَر" سليل عائلة متعلمة ومتدينة نشأ ودرس وتربى في عائلته ، وحين قصد إبراهيم باشا أمير ولاية بابان إلى بناء مدينة سليمانية رافقه الشيخ معروف، وأصبح "رئيس العلماء " في الإمارة .كان منشغلاً طوال عمره بالتدريس والتأليف والترجمة للكتب الدينية بين اللغات الكوردية، العربية، والفارسية. ومن مآثره أنه أسس الجامع الكبير أشهر وأكبر وأقدم جامع يزوره المؤمنون من أرجاء العالم الإسلامي كافة .
. مدرس، ملا عبد الكريم ، بنةمالةي زانياران/ أسر العُلماء، مركز مطبوعات ، إيران، سنة، ط1، 2005ص: 261/ 264.

(**). الشيخ كاكة أحمد / نجل الشيخ معروف، ولد في السليمانية 1208/ وكان والده في الستين، ووالدته في الخمسين من العمر درس العلوم الدينية واظب على تدريس العلوم الدينية وحفظ القرآن، فالتمسك بالطريقة على يد والده، كان معروفاً بإتقانه للعلوم الدينية وتدريس الطلبة إضافة إلى خدمة وإطعام الفقراء وإجراء الصلح بين المتنازعين. حج إلى بيت الله الحرام وبقي خلال أربع سنوات في المدينة المنورة، وافتتح داراً أو مضيفة لإسكان وإطعام للحجاج المعدومين هناك. للمزيد أنظر : أسر العُلماء مدرس، ملاعبدالكريم ، بنةمالَةي زانياران، مركز مطبوعات ، إيران، سنة، ط1، 2005ص: 254/ 269.

(***). الشيخ محمود الحفيد (ملك كوردستان)/ نجل الشيخ سعيد وحفيد الشيخ كاكة أحمد يُرجعون ولادته إلى تواريخ متعددة ومختلفة عن الآخر (1883، 1881، 1886)، درس باللغات التركية والفارسية، زار اسطنبول تلبية لدعوة السلطان عبد الحميد. وعاصر نهاية وضعف الحكم العثماني في كوردستان، فلجأ موظفو الدولة العثمانية ورجاله إلى ظله وحافظ عليهم من اعتداءات العشائر الكوردية. أول ملك لحكومة كوردية في العشرينيات من القرن المنصرم .للمزيد ينظر: هاوار، محمد رسول، الشيخ محمود البطل، أو دولة جنوب كوردستان، طبع من قبل : بلاك روز، لندن، بريطانيا، ج1، ط1، 1990 .ص190/175.

الغجدواني إلى محمد بهاء الدين كانت تسمى خواجكان نسبة إلى ختم (ذكر) الخواجكان الذي أدخله الغجدواني. ومن محمد بهاء الدين (1389/1317م) أصبحت تعرف بالنقشبندية)! (وزيري: 2006، ص 46/45).

ترعرعت الطريقة وازدهرت في وقت قصير وانتشرت في البلدان الإسلامية، والهند وآسيا الصغرى، وكوردستان، وأصبحت ذا نفوذ، وفي بداية القرن الثالث عشر وصلت هذه الطريقة باسم الطريقة الخالدية النقشبندية المجددية إلى كوردستان . عن طريق " مولانا خالد "1773/ 1826" وانتشرت فيها، ويعد " مولانا خالد " أكبر وأشهر شخصية لهذه الطريقة في كوردستان، ترك خلفه عدداً من الخلفاء والمريدين المربين واستطاعوا أن يطوروا الطريقة وأن يستمروا بها. وتختلف الطريقتان في نواحٍ كثيرة مثل كيفية العبادة وممارسة الطقوس الدينية والتسميات التي تطلق على التفاصيل وجزئيات الطقوس وأفراد الطريقتين .

وقد وظف جان دوست في رواياته هذا الطابع الصوفي في المجتمع الكوردي على صورتين.نراها حالة شاخصة لا يمكن إغفالها والمرور عليها دون التوضيح . توظيفيين فقد جاءت إما على نحو تفصيلي، أو المرور عليها عابراً كأحد المظاهر الشائعة في البيئة التي يقوم الروائي بتغطيتها، بما تسجلها في الحياة اليومية كظاهرة تثير ملاحظة من عامة الناس مثل وصية نوبار. الأرمني .الذي عاش معظم حياته بين الكورد وتعبيره: " . غداً ، غداً تعال لنذهب إلى هناك وستفهم كل شيء. لكن قص شعرك الذي يشبه شعر المجانين. وقصره قليلاً تبدو مثل أحد الدراويش القادريين " . (دوست: 2014، ص 159) .

يدل على وجود هذه الظاهرة، وثغرة الاختلاف بين التصورين من الناحية الشكلية أيضاً، حين يرمز إلى ما يميز إطالة الشعر لدي القادريين في تعليقه على شعر حفيده .

فهنا وإن كان التعليق يحمل شيئاً من الاستهزاء، لكن لا ينفي حقيقة أن الحالة تمثل ظاهرة منتشرة، معترف بها وأن الناس يتمثلون بها، وأصبحت قياساً يقيسون الحالات بها سلباً وإيجاباً، ففي أحلك ظروف الحركة، وحين تضيق عليها طوق الحصار بين كفي كماشة المؤامرات الخارجية، وبين التعقيد الداخلي الذي يجعل من الشيخ سعيد أن لا يستطيع شرح عدم ذهابه لـ" بيران "، يشبه جد "بادين" الأرمني تمثيلاً للبيئة وانعكاساً للثقافة والمعرفة السائدة زئير ريح الشمال بـ"الذكر على طريقة القادريين "(دوست: 2017، ص 175) . أو حتى حين يصف جودة الجلود ويحسب مزاياها واعتماداتها في " أغلفة نسخ مم وزين" و" طبول سرحدان "لا يتردد أيضاً بذكر " دفوف دراويش الطريقة القادرية التي يذكرون بها الله حتى منتصف الليل، هي أيضاً من تلك الجلود "، (دوست: 2011، ص 72) . إشارة إلى مراسيم وطقوس هذه الطريقة، التي نرى أن مرور الروائي بمحطاتها،كان مروراً ذات مغزى ويحمل كثيراً من المعاني لديه، واختلافها الجوهري مع الطريقة النقشبندية،كون الأولى، لها الأذكار العلنية وتؤدي واجباتها جهراً بصوت عال، والأخرى بأنها تمارس طقوسها في الغالب بالأذكار الخفية، وتؤدي التزاماتها بهدوء " في حين أن " سالكي الطريقة القادرية يعتبرون سرح شعرهم واجباً أساسياً ويحسبونه من صلب التزامات طريقتهم ويمارسون طقوسهم بها "(وزيري: 2009، ص 159)، ويعدان بتفاصيلهما من الظواهر الاجتماعية الروحية التي تتغذى عليها الذاكرة الكوردية. وتوظيفها في الرواية، لتكملة صورة المجتمع الكوردي. هذا ويقوم بعرض خصائص وتعاليم، فيرتكز على المفاصل الرئيسة وأركانها، ووصف هذه التفاصيل دقائقها وصفاً دقيقاً.وتفاصيل عباداتهم مع مسيرة الرواية:

" سأل أباه ذات مرّة حين كان طفلاً :

. لماذا نغمض أعيننا يا أبي أثناء التوجّه والختمة والرابطة.؟ (دوست: 2017، ص 29) .

فيما الوالد يطنب في شرح وافر في توضيح تأملي وتأويلي عميق، لهذه المصطلحات وتنوير ما يراه الطفل مظلماً، بأنها من أركان وثوابت هذه الطريقة، جواباً لسؤال الطفل سعيد :

. حين يغمض المرء عينيه تنفتح نوافذ الذهن . (دوست: 2017، ص 29) .

فقبل أن نشير إلى توضيح الروائي للمصطلحات الثلاث، وحين نقيس مقاسات هذه الحكمة نعثر على تشابه بينها وبين مقولة النفري المتكررة بدلالاتها الواسعة التي تعبر عن قصور الكلمات في التعبير عما يعانيه الإنسان من المشاعر والمعاناة :

(كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة .(عبد الجبار: 1997، ص 51) .

مقابل غلق البصر الموجه إلى الخارج لضمان الانفتاح الداخلي للذهن .

وتظهر من خلال هذه المقتطفات نوازع وخصائص الطريقتين، وبأشكال مختلفة كظواهر كانت سائدة وتشكل جزءاً من الصراعات التي تشغل الإنسان الكوردي، متداخلة مع اختلاجات الشعور القومي الباحث عن متنفس للتعبير عن هذا الشعور بمستويات متباينة، وقد يكون تعرض الروائي لهذه الإشكالية/ وتبنيه للنقشبندية، جاءت كمحاولة لترميم الشخصية الكوردية المهددة آملاً بحصولها على الهوية الإنسانية القومية، وقد يتحقق هذا الأمل عبر اجتهاد افتراضي، بأن الاعتراض الكوردي لكيفية تطبيق الشريعة الإسلامية أن ينتج ما أنتجه الاعتراض الفارسي/الإيراني خلال تبنيها للتشيع ويجعلها مشروعاً قومياً، لإعادة بناء الشخصية الكوردية المشروخة، في الأقل في الدوران الذي كانت كوردستان تتمتع فيها بحكم شبه استقلالي/ داخل دوامة الصراعات

العثمانية/الصفوية في النصف الأول من القرن التاسع عشر نموذجاً. وربط كل هذا بمستوى التأملات المذهبية/ العقيدية الأخرى السائدة في اللاوعي الكوردي الشرقي كالزرادشتية واليزيدية [*]. وتطعيم هذه الرؤيا بالزهد والتصوف الإسلامي.

ففي رواية مهاباد وحين يميل قمر الجمهورية إلى الغروب وتتزاحم الشاحنات صوب كوردستان في المشهد العام وحزنه على توديع " مجدة "في المشهد الخاص، وتموقعه في خنادق الحرب والحديث عن الصفقات التجارية ثمناً للدماء والدموع الكورديين، يتحدى بادين بـ"رفع علم الجمهورية لتخفق حتى على آبار البترول في .كرمنشاه . " هذا ما نراه طبيعياً لأن النفط هو أداة الحرب ووسيلته، لكن الغريب وما يثير التساؤل أن تخفق الراية نفسها على مسجد "دار الإحسان "(دوست: 2014، ص 180)، في مدينة سنة ، فلو نظرنا إلى المعادلة نراها غريبة، لكن نستطيع أن نجمع بين مسجد دار الإحسان وذاكرة الروائي، حين يلجأ إلى خزين ذاكرته لتعبئتها بوجه الانكسار المروع للكورد، حين يقابله بقوة معنوياتية لحكاية، تتعلق بهذا المسجد، فمولانا خالد " صاحب الطريقة الجديدة، حين يكتمل ويحصل على إجازة الإرشاد من دلهي/ الهند عائداً إلى سليمانية، يمر بهذه المدينة، وكان " محمد بن قسيم ابن الشيخ أحمد المردوخي، أمام هذا المسجد، وكان عالماً كوردياً كبيراً في زمانه وكان أستاذاً لمولانا قبل ذلك، فتنقلب المعادلة ويتمسك بمولانا على الرغم من الفارق العمري بينهما ويصبح خليفة له (مدرس: 2011، ج 1، ص 16)، ويعدّ هذا الأمر فتحاً لمولانا وطريقته الجديدة يومذاك.وإشارة الروائي إلى هذا المسجد أراد أن يذكرنا بهذا المنقب كطاقة روحية داعمة بوجه انهيار الحلم الكوردي/في جمهورية مهاباد 1946.

2. كرامات الأولياء :

وهذا مما يحتسب على موضوع كرامات الأولياء . ويركز الروائي عليها مرات عديدة. ويعالج في كل مرة منها بشكل يضاف إلى ما أراد بيان أحقية القضية الكوردية أو رموزها بخط موازٍ إلى جانب التمسك بالدين الإسلامي، تعضيداً لما يريد الوصول إليها مثلاً:

أ.كفن أحمد خاني الأبيض، الجاف، تحت رذاذ هطول الحبر .

القصة هكذا: المكان ، بايزيد، والمناسبة مراسيم دفن أحمد الخاني .

ملا إسماعيل يحمل النعش الملفوف بكفن أبيَض من الأمام على اليمين، بينما تبلل جانبه الأيمن من عمامته حتى نعليه، وحينما ينزل ميرزا صبري " الذي تبلل جانبه الأيسر"، وبذلك نعثر على الجانب الخيالي من الفضاء الذي تبناه الراوي، ويوضح لنا أن ملا إسماعيل وميرزا صبري كانا من حملة النعش. إحداهما من الأمام والآخر من الخلف، ملا إسماعيل يحمل النعش من الأمام، من اليمين، وتبلل جانبه الأيمن تماماً من "عمامته/ رأسه، إلى نعليه/ قدمه"، وميرزا صبري، من حملة النعش من الخلف ويحمل النعش من اليسار، لأنه تبلل من هذا الجانب.أي تبلل جانبا النعش، وبتأكيد الرّاوي على اتجاه الوقوف أولاً وتشديده المتكرر على البلل والجفاف ثانياً، أراد أن يبرز الفضاء الذي يمهد لتوضيح حدوث الكرامة، وتتغذى الفكرة من عدة جوانب، في أن موت الشخص المبارك وقع في يوم ماطر، لكن كفنه لم يتبلل وبقي جافاً، بينما يتبلل الأشخاص من حملة نعشه يميناً ويساراً، أماماً وخلفاً، وإحساس الناس من حول النعش بحدوث الكرامة،كتنهيدة ملا فريد : " لقد كان الشيخ ناراً متقدة فكيف لكفنه أن يتبلل!! " (دوست: 2011، ص 18) في الرد على رعشة ميرزا صبري واستغرابه "منذ مدة ونحن نمشي تحت المطر، لكن كفن الشيخ ما زال جافاً "(دوست: 2011، ص 18) . " وهذا الحضور لصلاح الدين الوراق في تأبينه في يوم ماطر ورؤية كفنه الأبيض الجاف بمثابة جرس ليتوقد في ذاكرته، قصة ولادته أيضا وقد كان أحد من بين الحضور، فيتذكر ولادة " أحمد الخاني "واستغرابه مع من حوله حين " قمطوه بكتان أبيض وحملوه إلى حجرة والده ليؤذن في أذنيه ويطلق عليه اسماً، بقي القماط جافاً لم يتبلل! " (دوست: 2011، ص 196)، وسط استغراب الجميع، أدت إلى استغراب الوراق من تجهم وجه ميرزا صبري من حصول تلك الكرامات من الولادة حتى ممات الشيخ، مما ولّد شعور لديه ربما كان "خوفاً من الموت أو رهبةً منه" بسبب . يجهله الوراق . والذي كان ندمه المؤخر لتورطه في مؤامرة قتل الخاني .

وحينما يقارن بين ما في ذاكرته وما يراه الناس عند إنزال الكفن جافاً إلى القبر يصيبهم الدهشة، إلى أن يقوم الملثم بتفسير المسألة: " لا تعجبوا يا قوم! هذا هو دأب أولياء الله "(دوست: 2011، ص 22). لأن " المنصوص عليه أن الأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد الوليّ فهو كرامة "(النبهاني: 1991، ص 8)، ينعمها الله . سبحانه وتعالى . إلى ولي من أوليائه . هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن " كرامات الأولياء سبب من أسباب زيادة الإيمان، بل ربما كانت باعثاً من بواعث الهداية لمن أراد الله له ذلك. لما اشتملت عليه من أمور خارقة

[*]. ينظر إلى، عطا قرداخي، المصدر مذكور، ص: 22, 32 ،42 ،44 ، 45، 46، 51، 59. وننبه خاصة إلى ما جاءت خلال صفحة، 22، من ملاحظة تستحق الوقوف عندها: " ألم يكن ممكناً لو استفدنا من التصوف كمعارضة إيجابية في تاريخ النصف الأول من القرن التاسع عشر في كوردستان بشكل عام وفي حدود إمارة بابان بشكل خاص أن تأخذ دوراً رئيسياً لمشروع إنتاج الخطاب السياسي . الديني الكورديين كما أخذته دور التشيوع وعلاقتها بالشخصية الفارسية وأصبحت فيما بعد قاعدة لإحياء الشخصية الفارسية المتضررة، ولا سيما عندما نقيس النقشبندية حسب طبيعة قواعدها وقربها من روح الكورد."

للعادة " (العنقري: 2012، 6) خارق للعادة كبقاء الكفن جافاً. وإنزال الجثمان المغطى بكفن أبيض تحت وابل من الأمطار إلى اللحد جافاً، ومما يزيد يقين جمهور المشيعين بأن كرامة ظهرت للشيخ حتى بعد موته، هو بقاء الكفن أبيض، وجافاً، في حال أنّ مرور النعش كان تحت رذاذ من المطر، والمطر مسحورا أيضاً، أي أنه هنالك مطر يهطل من الخارج، مطر أسود، ومن سواده يحسبونه حبراً. بل وبتعبير تيمور وبشهادة صلاح الدين الوراق العليم بمسائل الورق والحبر، الذي " عاش منذ أن كان صبياً في العاشرة من العمر بين الحبر والورق والصمغ والخيوط التي تخاط بها الأوراق وإن لم يعرف إحدى روائح الحبر الطازج فهو يعرفها " كان ذلك المطرُ حبراً يهطل من السماء "(دوست: 2011، ص 24)، والميت الملفوف يمرّ بكفن أبيض تحت رذاذه، الأصح أن يكون الكفن مبتلاً، بل مبتلاً وَمُسْوَدّ لونه، إلا أن حدوث الكرامة حافظ على جفاف الكفن وعدم اتساخه بلون الأسود، كفنٍ يضم ذاتاً تدرك الثمل أيضاً بأن " هناك من يقلق راحته ويؤذي روحه المباركة " (دوست: 2011، ص 32) .

وهذا ما يظهر حين مدّ ملا فريد يده وتحسسه الكفن وإيجاده جافاً وأبيض وسط دهشة واستغراب المشيعين المحيطين بالنعش، وصدقت رؤية والده ملا إلياس بأن ابنه " غدا ذا شأن" و " ناله مصيبة عظيمة " (دوست: 2011، ص 24) أيضاً .

وفي لحظة اقترابه المؤكد من موته المحتم بين أصحابه المشنوقين. يلجأ الشيخ سعيد هرباً من الموت، ويبحث عما يحميه من هذا القدر، وعن طريق ذاكرته يعثر على ما سمعه في طفولته من قصص كرامات الأولياء والشيوخ، في الحيلولة من دون الوقوع في شرك الموت/ الفناء. بعدما يتيقن من أنه وقع في فخ محكم، ويمكن بصفته ذاتاً " قريباً من القديسين "، ظهر ولمرات عديدة استعداده لـ" بذل دمه دفاعاً عن الدين، والوطن، والحق في الحفاظ على شرفنا، ولثقته التامة، بأن الله معه "(غورغاس: 2013، ص207/205)، يستحق أن يوليه" الله تعالى بالطاعة وتولاه الله تعالى بالكرامة والرعاية (النبهاني: 1991، ص7) . وليتمدد تفاؤله في البحث عن وسيلة للنجاة منها سوى اللجوء إلى فضاء ما، يردم هذه الفكرة، كتمسكه بمفهوم الكرامة، وانتظار وقوعها، ومن ثوابت الكرامة أن تكون خارقاً عن العادة، وهي " مايمتنّ الله به على أحد أوليائه، من إكرام معنوي أو خرق حسّيّ للعادة، لوجود سبب يقتضيه " (العنقري: 2012، ص 31) ، تماماً ما ينتظره، أي أن تأتي بحقيقة معينة لكنها مخالفة لما يكون في الطبيعة وهذا ما تميزها عن الحقيقة البسيطة، بعد أن يقنط من الحلول الواقعية، حقيقة يتجذر منذ طفولته من جواب لوالده على أسئلته الكثيرة حول قدرة الله، فيجيبه بأن " الله أكبر من السلطان، وأكبر من هذه المشانق".(دوست: 2017، ص 34/ 35) المنتظرة أيضاً، وتعدّ هذه الحقيقة بمثابة طوق نجاة للبحث عن بوادر الكرامة، اقتفاء لما سمعه من المريدين ويتذكر إحدى هذه الكرامات على لسان المريدين:حين تقع معركة بين الفريقين: المسلمين، والمشركين، الجيش العثماني من جهة والروس من جهة ثانية، ويكون الشيخ محمود والد الشيخ سعيد، مرابطاً في جبهة المسلمين، يصادف أن يحاصر الروس فرقة من جيوش المسلمين وكادوا يبيدون،وكانت حالتهم قريبة من الحالة التي وقع فيها الشيخ سعيد، إلى أن ينجد الفرقة المحاصرة أحد خلفاء النقشبنديين عبر صرخته المدوية مرتين متتاليتين : الله أكبر. فيثير غبارا من بعيد، يفك الحصار عن الفرقة وينهزم القوزاق، وينكسر جيش الروس " مثل كرة ثلج سقطت في النار ، تفرقوا ولم يعد لهم أثر" (دوست: 2017، ص 35) .

3. كوردستان، أرض المعتقدات المختلفة، المتآخية.

وبعيداً عن التعصب والانحياز بين المذاهب. ومن خلال مشادة ودية بين إنترانيك الأرمني وصهره في المستقبل يونس المسلم الكوردي، يقول الأول للثاني بحسرة ويتذكر مأساة مذابح الأرمنيين، على يد المسلمين ومن ضمنهم الكورد، وتقع عواقب الجريمة بحسب الأرمني على عاتق الأتراك، لأنهم فعلوا الأفاعيل مما جعل " بحيرة وان " أن تتشكل من دماء الأبرياء، لا كما يدعون من دموع العشاق ويستفسر لا ثأراً بل حائراً: هل الإسلام دين متعطش للدم إلى هذا الحد.؟ (دوست: 2014، ص66) ويأتي ردّ يونس بالمنطق أيضاً، لابالمناظرة السلبية، بأنه سمع من الشيخ بهاء الدين :بـ"إن قتل إنسان بريء مثل قتل الناس جميعاً" (دوست: 2014، ص 66) ، والله . سبحانه وتعالى . ينبئنا بـ:[مَن قَتَلَ مؤمناً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومَن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً]،(القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 32)، نهى قطعاً عن هذه الجريمة، فإذا كان القرآن ينطق بهكذا الحكمة، والشيخ بهاء الدين النقشبندي الذي يكثر ذكره في روايات "جان دوست" أكثر من أي شخصية دينية أخرى، صاحب نفوذ اجتماعي كبير والساكن القريب من موقع بحيرة "وان "، يمثل بالقرآن وله هذا الانطباع الإنساني الوارف، ومما سبق يبدو أن الذاكرة الكوردية تتغذى من ثلاثة ينابيع رئيسة: القرآن الكريم أولاً، والسنة النبوية الشريفة ثانياً، ووعاظ الحكماء الكورد ثالثاً. فلا يكون لهذا الاشتراك الكوردي إن كان موجوداً، تبريراً عقلانياً، وهذا ما يتحقق كنواة طبيعية في ذاكرة وحياة أبناء دينين وعقيدتين مختلفتين، حاولوا تأجيج نار العداوة بينهما، فعبثاً كان " الأرمن الذين ساروا مع الجيش الروسي الذي كان يهاجم المدن والقرى الكوردية شنوا حملة إبادة ضد الكورد"، (دوست: 2017، ص 131)، و"السكاكين

التي شَحذت لقتل الكفّار. ويقصد الأرمن . ،كانت على الأغلب كورديّة "(دوست: 2017، ص 128)، لكنها لا تستمر وتذوب عبر وشائج دينية، ثم إنسانية تأخذ أطواراً تتجدد، فعندما يشتد الحصار على الأرمن و"لم يعد الناس يسمعون صوت النواقيس ولاصوت ضحكات عذارى الأرمن"(دوست: 2017، ص 131) ومن يؤوونهم يتعرضون للمصائب، يحتسبون من قبل سلطات الدولة العثمانية كأنهم من الأرمن ويصبح إخفاء شخص أرمني شجاعة كبيرة، يمتلىء بيت الشيخ سعيد بنساء وأطفال الأرمن، ويلجئون حفاظاً على سلامتهم إلى ظلال جبته المقدسة (دوست: 2014، ص 129) .كما ينعكس هذا في علاقة الشيخ الممتدة مع هذه العائلة الأرمنية واستمراره جيلاً بعد جيل. ويستمر لدى الروائي جان دوست، فالعائلة الأرمنية تبدأ بـ"بوغوصيان الأرمني" المعاصر والقريب لشيخ محمود والد الشيخ سعيد في رواية " ثلاث خطوات إلى المشنقة " يستمر إلى انتهائها بأنترانيك " في رواية "مهاباد وطن من ضباب".

وبالمقابل نرى النقاش الحاد بين شمسو القوّال المسيحي "في رواية ميرنامه"مع زوجته، حين يفاجئهما نداء يذيع خبر موت شخص ودعوة المسلمين للاشتراك في التشيع والمأتم، وزوجته تحاول منعها من حضور تشيع جثمان أحمد الخاني . بحجة أن المنادي يدعو المسلمين فقط إلى التشييع. وبما أن شمسؤ القوّال مسيحي لا يشمله النداء للتشييع والصلاة على جنازة مسلم .

"انتقل إلى رحمة الله الشيخ أحمد الخاني وسيؤخذ نعشه إلى المسجد الأعلى المدينة .لا تحرموا أنفسكم من بركة صلاة الجنازة، يا أهل الإسلاااااام".

القوّال: سحبت أنفاساً خفيفة عجلى من الغليون الخشب وتركت قهوتي التي شربت نصفها في مكانها ونهضت لأخرج، فاعترضتني زوجتي قائلة :

. إلى أين يا شمسو.؟

. سأذهب لتشييع الجنازة.

. هوه ! أفي أذنيك وقر أم هما مثقوبان ؟ ألأم تسمع الرجل يدعو فقط أمة الإسلام ؟

المرأة المسيحية تحاول منع زوجها المسيحي من الحضور في تشييع جثمان أحمد الخاني المسلم . بحجة أن المنادي يدعو المسلمين فقط إلى التشييع. وبما أن شمسؤ القوّال مسيحي لا يشمله هذا النداء في التشييع والصلاة على جنازة مسلم . لأن لكل من الدينين: الإسلامي والمسيحي لهما طقوس ومراسيم خاصة بهم في التشييع ودفن الميت . لكن نصيحة الزوجة وقياساً بمكانة الخاني لدى زوجته لا تفيد مبتغاها، بل أنَّ شمسو القوّال يتشاجر مع زوجتها، وتصل إلى :

" وكدت أضربها لكمة بين عينيها لكن يدي لم تطاوعني، فقلت لها: " يا حرمة هذا أحمد الخاني وليس رجلاً آخر ! ما لي ولنداء ذلك المؤذن ! ثم لبست عباءتي المبطنة بفراء الخروف وخرجت. ".

فمكانة أحمد الخاني لديه يجعله يتجاوز على الأعراف الأصولية لكل معتقد وتشارك التشييع والصلاة عليه أيضاً، ومرافقة القوّال لجنازة الخاني قد تجاوزت الضغوط والتعقيدات الداخلية . نصح وامتناع زوجته . والخارجية مثل ما صرح به الذائعة الصيت سيف الدين ذو الجبة الزرقاء :

"شمسو القوال ! مرافقتك لنا إلى القبر لا تجوز ".

فنرى أنّ موقف القوّال وبعبوره الفاصلتان هكذا، وإصراره على الاشتراك في "التشييع، والصلاة عليه ". يكمل الشعور المتبادل بين أصحاب المعتقدين، ويتناقض هذان الموقفان السابقان تماماً مع موقف آخر عندما يصادف بباب المسجد صلاح الدين الوراق/ المسلم، وحين يلتقيان وجهاً لوجه تلمع الدموع في عيني صلاح الدين، ويقول:

". والله إنك وفيٌّ يا كريف ." [*]

ويأتي رأي القوّال بمستوى حرارة الوفاء وصدق جاره وصديقه المسلم:

" . هذا هو الخاني. الخاني وليس رجل آخر. " (دوست: 2011، ص 229) .

وفي السياق ذاته، نرى أن الروائي قام برسم مجتمعٍ تختلط فيها الذاكرة الدينية باختلاف العقائد، وتكتملان من دون ارتطام بعضها بالآخر، يتقد هذا الوعي رويداً رويداً أثر صداقة تنمو إعجاباً بشخصية أخرى، يتنبأ الأساتذة قبل الطلاب بمستقبله إن استمر هكذا فسيصبح عالماً نحريراً، هذا عندما يكره ملا صالح ويعترض لصوت ناقوس الكنائس، بتبرير إن البلاد يسكنها مسلمون ولا ينبغي أن ترفع أصوات النواقيس، يفاجئه مشاعر أحمد الخاني بفيوضاته الرّبانية/ الإنسانية العصية على فهمه البدائي على نحو كان يجهله في السابق، وبأن " معبد لالش وأديرة النصارى وكنائس اليهود، وحتى معابد النار وهياكل الأصنام محسوبة كلها من بيوت الله !" وإنّ " الله ينادي عباده بطرق كثيرة "(دوست: 2011، ص 178)، ولا يمكن أن يكرهها مسلم، بمجرد كونها مختلفة، كأننا أمام إحدى الروائع الشعرية لمحيي الدين بن عربي التي رسم فيها خارطة الحب كأثير خارج الميول والاختلافات الدينية :

لقدْ صارَ قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ

فمَرْعًى لِغِزْلاَن وديرٌ لرُهْبانِ

وبَيْتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ

[*]. كريف، كلمة يتخاطب بها المسلمون الأكراد مع المسيحيين أو اليزيديين للتحبب.

وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدينِ الحبِّ أنَّى توجَّهتْ
رَكائِبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني .
(الأندلسي: (د.ت)، ص 1259)

وعند ما لا ترزق هاميست/ المسيحية بالأولاد من يونس/ المسلم، لسبب أو آخر، يلجآن إلى تكية الشيخ بهاء الدين النقشبندي، للحصول على الشفاء ليرزقا بطفل وفي أثناء عودتهما، " توقف يونس وهاميست عند دير قديم، إذ دخلت هاميست وركعت أمام أيقونة مريم وإشعالها شمعة ثم خرجت بدمعتين ساخنتين"، (دوست: 2014، ص 19/18) . هنا القارىء واقف أمام مشهد ينم عن تعايش سلمي جميل بين عقيدتين، لكل منهما طقوس وشعائر تختلف عن الآخر، يعيش في مساحة عقيدية مشتركة من دون أن تقع في مبارزة بينهما، يشعر بوجود ألفة مشتركة بين العقيدتين كمحاولتين تشتركان في إنقاذ عائلة، وتسأل: أبأي من الدعائين قد شفي المرض قبل الآخر ؟

نستنتج من البحث:

1. إن كوردستان كانت أرضاً خصبة في ظهور الدين الإسلامي وتطوره، وانتشاره، ضمن اجتهادات نضجت على شكل " الطريقة " في تأويل جوانب الدين الإسلامي من زوايا نظر متعددة يتفقون في الجوهر ويتباينون في التفاصيل . وهذه التفاصيل الدقيقة للطريقتين؛ نشأتهما، رموزهما، كيفية نقلهما، ترعرعهما في كوردستان واستقبال الكورد والتمسك بآداب الطريقتين .
2. وجود نوع من المنافسة بين الطريقتين، احتدائهما بالبعض أحياناً وتأثيراتهما كانت جزءاً من مشاغل الذاكرة؛ الفكرية، العقيدية الدينية والحياتية التي تشغل الإنسان الكوردي شكلاً ومضموناً ينعكس في مصطلحات خاصة بهاتين الطريقتين. وممارسة طقوسهما لدى مسلمي كوردستان، كانت فضاءً بين الإطاعة الدينية من جهة، والمحافظة على الخصوصيات القومية في بعض المراحل بشيء من الاعتراض من جهة أخرى . من دون أن يستنتج هذا الاعتراض تمرداً على الثوابت الدينية التي يقرها الدين الإسلامي. ولا ترك الشعور القومي الكوردي الذي بدأ يتطور مع ضغط القوميات المتسلطة من جهة وبزوغ الفكرة القومية من جهة أخرى .
3. كانت هذه الطرائق نوعاً ما استمراراً لمستويات التأمل في المذاهب والعقائد المنتشرة في المجتمع الكوردي، باحتوائها نوازع الزرادشتية واليزيدية مثلاً وإغناء هذه الرؤى وتطعيمها بالزهد والتصوف الإسلامي، ويثير بالنتيجة اجتهاداً بافتراض كان بإمكان الطريقة النقشبندية أن يجري مجرى التشيع الإيراني، بتغطية الجانب الديني وتعويض ما خسرته الهوية القومية المشروخة بتبني واحتساب هذه الطريقة جزءاً من متطلبات الهوية الكوردية .
4. توجيه الأنظار إلى ملاحظة مهمة عالجها جان دوست بطريقته، وربطها بالحركات التحررية الكوردية وقيادتها من قبل رموز ينتمون إلى هاتين الطريقتين . واشتراك هذه الرموز مثل: " الشيخ سعيد . من الطريقة النقشبندية، والشيخ محمود، ملك كوردستان . من الطريقة القادرية " في الثورات التي كانت تطالب بحقوق الشعب الكوردي المشروعة، واستغلال نفوذهم الدينية خدمة للقضية الكردية إلى درجة تستحق أن تتدحرج من أجلها العمائم المقدسة من الرؤوس النورانية إثر إعدامهم أو نفيهم قرباناً لقضية قد ربطوا أثناءها قدسية الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الحقوق القومية.

الخاتمة

إن التزام الكورد بالدين الإسلامي ثبتَ عن طريق انتهاج طريقتين. لهما من الخصائص ما يميزهما عن بعضه ولكل من هاتين الطريقتين مصطلحات، ومفردات، نوعية العبادة والتقرّب إلى الله . تنسب إلى شيوخ تتصدر من مراجع مختلفة. وتنزل هذه الاختلافات بمستوى متباين من الشيوخ إلى مريدي الطريقة، يتمسكون بها وأحياناً يتنافسون فيما بينهما بتفضيل ما لهما من الشعائر والطقوس .

مع عرض الأجواء المتآخية التي تمنح الفضاء الديني مساحة من التسامح أن يحتضن العقائد على اختلافاتها. فحين تظهر بوادر اختلاف وانشقاق في الاجتهادات والتأويلات، ضمن ديانة واحدة. نرى من جهة أخرى أنه يسود في الجغرافية نفسها ملاذاً أمناً لتعايش هذه الميول والطرائق الدينية، ووجود عطف حقيقي بين أفراد هذه المعتقدات، على الرغم من وجود اختلافات جوهرية في بنياتها .

المصادر:

1. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط . دار الدعوة ، القاهرة، (د.ط)، **1431**.
2. الأبي، أبو الفداء عبد الرقيب بن علي بن حسن، كرامات الأولياء، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، ط1،2001.
3. الأندلسي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الطائي"560 - 640 هـ ": ديوان محيي الدين بن عربي، الشاملة الذهبية.
4. درنيقة، د. محمد أحمد، التصوف الإسلامي، الطريقة النقشبندية وأعلامها، جروس برس،(د. ط).
5. دوست، جان، رواية ثلاث خطوات إلى المشنقة، دار الساقي، ، بيروت، لبنان، ط1، 2017.
6. دوست، جان، رواية مهاباد، وطن من ضباب، مقام للنشر والتوزيع، دياربكر . تركيا، ط 1 ، يونيو 2014.
7. دوست، جان، رواية ميرنامة، مراجعة وتحرير كاميران حوج، مط، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث " كلمة " ط1 ، 2011.

8. سۆرانی، د. سامان، الطريقة النقشبندية (المصدر باللغة الكوردية)، مط، رِۆذهةلات، هةولير. إقليم كوردستان العراق، ط1، 2021.
9. العنقري، د. عبد الله بن عبد العزيز، كرامات الأولياء، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2012.
10. غورغاس، جوردي، الحركة الكوردية التركية في المنفى، تر، جورج البطل، الداران: أ. الفارابي، بيروت، لبنان،ب . أراس للطباعة والنشر أربيل، إقليم كوردستان العراق، ط1، 2013.ص: 208.
11. فروخ، عمر، التصوف في الإسلام، يطلب من مكتبة منيمنة، بيروت، لبنان، ط1، 1947.
12. قرداخي، عطا، السليمانية أرضية التطور ومنافسة التصوف،(المصدر باللغة الكوردية) الكتاب من المطبوعات أسبوعية السليماني الجديدة، السليمانية، إقليم كوردستان العراق، ط1، 2003.
13. الكاشفي، حسين بن علي، رشحات عين الحياة، تح: د. عاصم إبراهيم الكيالي، مط، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2008 . كوردستان العراق، ط1، 2021.
14. المدرس، ملا عبد الكريم، يادي مةردان/ " تذ كرة الرجال باللغة الكوردية " ، دار آراس للطبع والنشر، أربيل/ إقليم كوردستان العراق، ط2، 2011، ج1.
15. النبهاني، يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، مط: المكتبة الثقافية، بيروت. لبنان، (د.ط) 1991.
16. النفري، محمد بن عبد الجبار، المواقف والمخاطبات، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، (د.ط) 1997.
17. هاوار، محمد رسول، الشيخ محمود البطل، أو دولة جنوب كوردستان، طبع من قبل : بلاك روز، لندن، بريطانيا، ج1، ط1، 1990 .
18. وزيري، أمير، ترجمة من الفارسية إلى اللغة الكوردية، علي ميرزا عارف الهورامي، النقشبندية في كوردستان، مط، المديرية العامة للأعلام والطبع والنشر، السليمانية، إقليم كوردستان / العراق، ط1، 2009.